قوله يوزن بها صحايف الاعمال يعني انه تعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال وقد روي انه
ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبرائيل فان قيل كيف يوزن الاعمال وانما هي اعراض لا يوصف
بالخفة والثقل المختصين بالجواهر واجيب بان في كيفية وزنها وجهين الاول يوزن صحايف الاعمال
والثاني انه تعالى يعطيها صور الجواهر فيضع في كفة الحسنات جواهر بيضاء مشرقة وفي كفة السيئات
جواهر سود مظلمة والمعتزلة عن اخرهم انكروا وضع الموازين الحقيقية وقالوا يجب ان يحمل ما ورد في القرآن
من الوزن والموازين على رعاية العدل والانصاف بحيث لا يقع فيه تفاوت اصلا فوضع الموازين عندهم
عبارة عن اعداد المحاسبات السوية والاجزية على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده
مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوازن بها الموزونات بجامع التمام للعدل وتسوية الحقوق وعامة
اهل السنة على انه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها صحف الاعمال وجمع الموازين مع ان الموازين الموضوع
واحد نظرا الى تعدد ما يوزن فيه او للتعظيم شانه فمن احاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه يعني
ان حسناته تذهب سيئاته ومن احاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه اي ذهبت حسناته بسيئاته
كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه وهو اوفق لما ذهبت اليه المعتزلة قوله لجزاء يوم القيمة يعني ان اللام اما
للتعليل على حذف المضاف او هي لام التوقيت بمعنى في كما في قولك جئت لخمس خلوات اي مضين وذهب صاحب
الكشاف الى انه لام الاختصاص ومعنى المثال اختصاص المجي بذلك الزمان ومعنى الآية اختصاص وضع
الميزان بيوم القيمة قوله شيئا من حقه او من الظلم الاول على ان يكون شيئا مفعولا ثانيا لتظلم لانه بمعنى
لا تنقص ونقص يتعدى الى مفعولين يقال نقصه حقه وقال تعالى لا ينقصوكم شيئا والثاني على ان يكون
مفعولا مطلقا وقرأ العامة اتينا بها بقصر الهمزة من الاتيان بمعنى وقرئ اتيناها بمد الهمزة فيحتمل
ان يكون وزنه افعلنا من اتى يؤتي ايتاء او فاعلنا ويؤيده قوله بها لان ما هو بوزن افعلنا يتعدى
الى مفعولين بنفسه قال تعالى اتينا ثمود الناقة قوله واغنيا وحينا عطف على قوله اتينا ثم انه تعالى
شرع في قصص الانبياء لتقليه على اداء الرسالة وتسلية له قوله بانه ليس اول من بعث للدعوة المتكبرين
وربط قصة موسى بما قبله بانه تعالى لما امر رسوله ان يقول انما انذركم بالوحي اتبعه بعادة الله
في الانبياء فقال ولقد آتينا موسى الكتاب وهرون الفرقان وهو مصدر وصف به الكتاب الالهي لكونه
فارقا بين الحق والباطل وما بعده معطوف عليه على طريق عطف الصفات والمراد بالجميع شيء واحد
هو التورية والمعنى ولقد اتيناهما الكتاب الجامع لهذه الاوصاف وقيل المراد بالفرقان النصر على الاعداء
كما في قوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يعني يوم بدر فرقا بين الحق والباطل قوله حال من
الفاعل بمعنى يخشون ربهم او عذاب ربهم وهم غائبون عنه لم يروه فياتمرون باوامره وينتهون عن
نواهيه او هم غائبون عن الآخرة لم يروا ما فيها من الاهوال وهم غائبون عن الناس لا كالذين يجتنبون
المعاصي بمحضر الناس ويرتكبونها في الخلوات او بمعنى المفعول يخشون عذاب ربهم وهو غائب لم يشاهد بعد
ويخشون به وهو غائب عن الحس لا تدركه الابصار وانما يؤمنون به ايمانا غيبيا استدلاليا قوله مبالغة

مبالغة او تعريض من حيث انه يفيد حصر الخوف من الساعة في المتقين والمنحصر فيهم ليس اصل الخوف منها بل
هو الخوف الكامل والحكم بانحصاره فيهم يتضمن الحكم في انتفائه عن غيرهم وهو وجه التعريض بغيرهم قوله
استفهام توبيخ بمن ابدا اهل مكة بان القرآن مع اشتماله على جميع ما اشتمل على امر زايد على ما فيها
وهو كونه معجزا لاشتماله على العلوم العجيبة والبلاغة الغريبة وعلى الادلة العقلية وبيان شرايع
الحكم فمثل هذا الكتاب لا يتجاسر على انكاره من له ادنى تمييز قوله وقرئ رشده بفتح الراء والشين
والعامة على ضم الراء وسكون الشين وهما لغتان كالعدم والعدم والاضافة بمعنى اللام والاختصاص
والمعنى ولقد اتينا بجلالنا وعظم شاننا ابراهيم رشدا يليق بمثله ويجلالها انتسب للرسالة وخلة
الرحمن ولو قيل الرشد او ترك الكلام خلوا من القسم وضمير الجماعة لما افاد الكلام هذا التفخيم ولكان
خلاف المعنى الا ان بين الرشد هو نبي من اليتيم والرشد الذي اتى ابراهيم بون بعيد قوله علمنا انه
اهل لما اتيناه اي من الرشد المفسر بالاهتداء لوجوه الصلاح في امور الدين والدنيا فيكون تعليلا لما
قبله وعلى الثاني تاكيدا له فيكون لان هدى ايتاء الاهتداء المذكور والعلم بكونه جامعا لمحاسن الاوصاف
والخصال بمعنى واحد ومثل هذا التركيب يستعمل بالمعنى الثاني في قولك اذا قلت في احد من الفضلاء
انا عالم بفلان فقولك هذا في الدلالة على كونه جامعا لوجوه الفضل اشد واقوى مما فقلت صفات
كماله قوله فان التمثال يعني ان اسم للشي المصنوع مشبها بخلق من خلق الله واصله من مثلث الشي
بالشي اذا شبهته به واسم ذلك الممثل التمثال فتح لهم هذا الكلام بالغالي على تحقير اصنامهم لينظروا
فيما دونه من فيبطل اعمالهم قوله ويجوز ان يؤول اي ولا يجوز ان لا يتنزل منزلة الكلام اللازم ويجعل
اللام للتعدية باحد الوجهين قوله جواب عما لزم الاستفهام جواب عما يعني انه عليه السلام سالهم عن حقيقة
التماثيل المعكوف عليها وهم اجابوه ببيان ما حملهم على عبادتها فلا انطباق بين السؤال والجواب وتقرير
الجواب انه ليس جوابا بالمعنى الاستفهام بل عما لزم من السؤال عن حقيقة معبوداتهم وذلك السؤال هو اي
شي حملكم على عبادتها مع ان شانها من الحقارة ما رايتموه والقوم لما لم يجدوا ما يجاب به الا طريقة التقليد
فاجابوه بان اباهم سلكوا قبلهم هذا الطريق فاقتدوا بهم ولا جرم جابهم ابراهيم بقوله لقد كنتم انتم
واباؤكم في ضلال مبين فبين لهم ان الباطل لا يصير حقا بكثرة المتمسكين به قوله وهو للسموات
فانه ليس من ضماير المختصة بالموقعات العاقلات بل هو لفظ مشترك بين العاقلات وغيرها قال
تعالى منها اربعة حرم ثم قال فلا تظلموا فيهن انفسكم لما سمعوا ابراهيم مقالة القوم وعلموا ان استبعادهم
ذلك مبني على انهم حسبوا انه انكر عليهم دينهم القديم مع كثرتهم وشوكتهم على وجه المزاح واللعب
قال بل ربكم رب السموات والارض كانه قال بل ما قلته انما قلته على طريق الجد واظهار الحق ولي
برهان على ذلك فانه ليس المراد من الشهادة في قوله وانا على ذلكم من الشاهدين حقيقة الشهادة لانه
لا شهادة ممن المدعي بل استعير الشهادة لتحقيق الدعوى بالحجة والبرهان اي لست من اللاعبين في الدعاوى
بل من المحتجين عليها بالبراهين القاطعة بمنزلة الشاهد الذي يقطع به الدعاوى قوله من المحققين له

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)